مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية
Eissn :2600-6863 Issn : 2353-050
المجلد 1 / العدد 03 (2013)، ص 9 – 28

تأثير استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة على قيم الشباب

✍ الأستاذ : محمد الفاتح حمدي
– قسم علوم الإعلام والاتصال جامعة باتنة- الجزائر

Résumé :

La nouvelle technologie de l'information et de la communication a transformé la société humaine en un village planétaire, limité dans le temps et dans l'espace. L'élément humain vit dans un monde ouvert sur tous les fronts, un contexte caractérisé par un développement rapide des satellites artificiels et de la teléstar spatiale en live (en direct), des sites internets et la téléphonie mobile, qui ont permets à l'homme de se rapprocher du monde, ceci, avec tout ce qui comporte comme phénomènes divers, circonstances naturels, événements, rites, habitudes, traditions, arts, pratiques sportifs, réalisations, sciences diverses, et autres phénomènes.

Ces supports multimédia ont permet à l'individu de vivre dans un environnement nouveau, riche en variables nouvelles et évolutives, différent de celui vécu par ses ancêtres et ses parents, au plan comportement, habitudes, coutumes, mode de vie, méthodes d'éducation et de dialogue, et autres attitudes et habilités, imposés par ces moyens.

On constate de nos jour que cette technologie évolue d'un rythme accéléré, en dépit des critiques, des inconvénients et dangers qu'elle véhicule, d'une part, d'autre part, elle n'accorde aucun crédit aux différences en matière de valeurs culturelles exprimées a travers les coutumes, modes de vie, rites pratiqués par les sociétés musulmanes et arabes en particulier. Ces supports multimédia se sont imposés à l'homme, auparavant ils étaient à son service, le contraint à un mode de consommation et de vie standart, sous prétexte d'ouverture sur

l'autre, sur la modernité et le progrès. L'être musulman troublé par le contenu des émissions diffusées par ces moyens d'information et de la communication, vit u nouveau monde ouvert et qui échappe à tout contrôle, exposé à toutes sortes de confusions.

L'individu musulman est donc contraint d'accepter de nouvelles habitudes, valeurs et mode de vie, diffusées par ces supports multimédia à l'opposé de l'environnement dans lequel il vivait, en matière d'habillement, de nourriture, de dialogue ou de penser, et d'accepter, à la fois, ses bienfaits et ses inconvénients.

Ces contenus dictées par des émissions satellitaires, et à travers les sites internet, a créé confusion et isolement de l'individu musulman au sein de sa société et sa propre famille, sinon mauvaise appréhension de son vécu environnemental et le monde décrit par ces supports multimédia, créant dans son esprit un sentiment de déception et d'angoisse.

- ملخص :

لقد حولت تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة المجتمعات الإنسانية إلي قرية كونية محدودة الأمكنة والأزمنة، حيث أصبح الفرد يعيش في عالم مفتوح على كل الجهات في ظل التطور السريع للأقمار الصناعية والبث الفضائي المباشر والحوسبة ومواقع الأنترنت والهواتف المحولة ، التي قربت العالم للإنسان وجعلته بين يديه ، بكل مايحمله من ظواهر مختلفة من ظروف طبيعية وأحداث مختلفة وطقوس وعادات وتقاليد وفنون ورياضة ومنجزات وعلوم مختلفة وغيرها من الأحداث ، لقد جعلت هذه الوسائط الإعلامية الفرد يعيش في بيئة جديدة تزخر بمتغيرات جديدة ومتغيرة تختلف عما عاشه أجددانا وأباءنا في الماضى ، سواء في العادات والتقاليد وأنماط المعيشة وطرق التربية والحوار وغيرها من السلوكات الجديدة التي جاءت بها هذه الوسائط الحديثة ، والملاحظ لواقعنا يدرك بأن هذه

تأثير استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة على قيم الشباب

التكنولوجيا في تطور سريع جدا، حيث لا تعبأ بإنتقاداتنا وتفنيدنا لسلبياتها ومخاطرها ، كما أنها لا تقيم وزنا لما هو موجود من قيم وعادات وأنماط وتقاليد وثقافات وطقوس سائدة في المجتمعات الإسلامية والعربية بالخصوص ، حيث قيل عن هذه الوسائط أنها أصبحت في عصرنا الحاضر سيدة على الإنسان بعدما كانت خادمة له ،كما أن الإنسان أصبح عبيدا لها خاضعا لكل ما جاءت به من عادات وأنماط جديدة تحت شعار الإنفتاح على الأخر والعصرنة والتقدم ، حيث أصبح الفرد المسلم يعيش في عالم مفتوح بدون رقيب ولا حسيب لما يحدث فيه ، حيث إختلطت عليه الأمور نظرا لما يستقبله من مضامين جديدة عبر هذه الوسائط الإعلامية التي جعلته يتعلم عادات وأنماط وقيم وتقاليد جديدة تختلف عن البيئة التي يعيش فيها سواءا في طريقة اللباس ،أوالمأكل أوالمشرب أو في طريقة الحوار والتفكير، أي أن الفرد المسلم معرض لكل ما هو صالح وطالح في الوقت نفسه لما يبث عبر هذه الوسائط الاتصالية والإعلامية الحديثة ،إن هذه المضامين الخطيرة الوافدة إلينا عبر البث الفضائى أو عبر مواقع الأنترنت جعلت من الفرد المسلم يعيش حالة من الإغتراب والعزلة داخل مجتمعه وأسرته حيث أصبح لا يدرك ولا يفرق بين عالمه المعاش والعالم الذى تصوره له هذه الوسائط الإعلامية ، مما ولد لدى الفرد المسلم حالة من الإحباط والقلق والقنوط من واقعه المعاش .

شهدت المجتمعات الإنسانية خلال تطورها عدة مراحل وسيمات ميزتها عما هو واقع اليوم في حياتنا اليومية، فإذا كانت المجتمعات السابقة وصفت بعصر البرونز وعصر البخار وعصر الثورة الصناعية، وعصر الذرة، نسبة للاكتشافات الأكثر تأثيرا في حياة البشر فإن العصر الذي نعيش فيه اليوم يستحق بامتياز تسمية عصر المعلومات وهذا ما جاء على لسان الباحث الأمريكي "ألفن توفلر" في كتابه "حضارة الموجة الثالثة":" إن البشرية مرت خلال تطورها بثلاث

مراحل هي مرحلة الزراعة واستمرت إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر، والثانية مرحلة المجتمع الصناعي حيث أصبحت الصناعة محور اهتمام الدول واستمرت حتى منتصف القرن العشرين- أما المرحلة الثالثة هي مرحلة المعلومات والإعلام والتي بدأت خلال الخمسينيات عندما تجاوز في أمريكا وحدها عدد العاملين في قطاع الإعلام كل عدد العاملين في القطاعات الأخرى".1

ولو انطلقنا من واقعنا لوجدنا أنه بإمكان إضافة مرحلة رابعة هي في طور الاكتمال وتمثل في حقيقتها بداية عصر جديد ومولد بيئة جديدة. هي مرحلة المجتمع التكنولوجي (الرقمي) الذي أصبحت تقاس فيه درجة تقدمه وتطوره بدرجة إنجازاته التكنولوجية ومدى استخدامه لها. فالتكنولوجيات الحديثة في ميدان الاتصال والإعلام جعلت الفرد يعيش دائما على استعداد تام لاستقبال قرن جديد " القرن الواحد والعشرون"يزخر بمتغيرات ثورة لاحدود لها ولآثارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مما يوحي بمتغيرات محتملة وواسعة في أنماط الاتصال ومصادره وقنواته سواء كانت مسموعة أو مرئية أو مسموعة مرئية، كما ينجر عنها أيضا تأثيرات على حياة الفرد وعلى النسق الاجتماعي، سواء من الناحية الإيجابية أو السلبية.

لقد اقترب العالم من بعضه البعض، فلم يعد مجرد قرية صغيرة كما وصفها " مرشال ماك لوهان" فقد أصبحنا نعيش في غرفة واحدة أو بناية واحدة محدودة المعالم والأبعاد كما جاء على لسان المفكر الإيطالي " تشارلز كولي" حيث يرى أن الأزمنة والأمكنة والحدود الجغرافية لم يعد لها أي اعتبار في ظل ما جاءت به وسائط الاتصال والإعلام الحديثة، من وسائل وتقنيات جديدة أذهلت الإنسان وجعلته حائرا في كيفية التعامل معها.

إن التظافر والاندماج الحاصل بين تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلومات يعطى للمعرفة والمعلومات قدرات وإمكانات كبيرة على اختراق الحدود والأزمنة،

وكل ذلك غير سواء شئنا أو أبينا وسيغير بسرعة غير مسبوقة اقتصادنا و سياستنا وتربيتنا وقيمنا وأخلاقنا على نحو من الأنحاء، ومن أكثر النساك زهدا في الحياة الدنيا سيجد نفسه معرضا لوسوسة شيطان المعارف وهذه التكنولوجيا الجديدة ،لم تعد العلاقات الإنسانية في ظل القرية الكونية مجرد علاقات تقتصر على البيئة التي نعيش فيها (اتصال شخصي أو جمعي) وإنما تعدت ذلك إلى العالمية والكونية باستخدام وسائط الاتصال الجماهيري الحديثة بالصوت والصورة ،فلم تعد هناك ضرورة لوجود االمرسل والمستقبل في بيئة واحدة من أجل تلقي الرسائل والتفاعل معها، حيث أتاحت وسائط الاتصال والإعلام الحديثة للأفراد كل فرص التواصل والإكتشاف والتغيير داخل المجتمعات الإنسانية .

ويعد الإنسان المستفيد الأول والأخير من مزايا الثورة الاتصالية والمعلوماتية، حيث يسرت له أموره وجعلته يضطر في مرات عدة إلى تغيير جملة من سلوكاته وأفكاره ومعارفه حتى يستطيع أن يندمج مع ما جاءت به تكنولوجيا الاتصال والإعلام من رسائل ووسائل جديدة ، وهذا في ضوء النظام الاجتماعي العام الذي يعيش فيه، والذي تحكمه (النظام الاجتماعي) جملة من العادات والتقاليد والقيم والأعراف ،حفاظا عليه من الذوبان في ثقافة الآخر (الغرب) أو الجمود (الانغلاق) وعدم التفاعل مع التطورات المدهشة في عالم الثورة المعلوماتية والاتصالية.

ولو عدنا إلى عقود طويلة سابقة لرأينا أن الأسرة والقبيلة والمدرسة وأماكن العبادة لعبت الدور الأكبر في تكوين مدارك الإنسان وثقافته وتشكيل منظومة القيم التي يتمسك بها وما يفرزه ذلك من عادات وتقاليد في السلوك، أما اليوم فإن هذا الدور انتقل بشكل كبير جدا إلى التلفاز والإنترنيت وألعاب الفيديو والكمبيوتر والهواتف المحمولة والإذاعة والسينما، لقد انتقل دور الإسهام في بناء معارف الإنسان وثقافته من وسط بشري ملتزم بقيم محددة إلى وسط تكنو-

اتصالي لا يقيم وزنا لهذه القيم، بعد الأسرة كان الخروج من المنزل والتفاعل مع المحيط المباشر أساسا للمعرفة والتعلم واكتساب الخبرات وبناء الذات وتنميتها وتطورها أما اليوم فإن البقاء في المنزل أمام التلفاز وعلى الانترنيت تتيح مدى أكبر للمعرفة والتعلم وسعة الإطلاع لقد باتت خبرات المنزل أوسع من خبرات الشارع أو المدرسة أو المدينة في ضوء ما يتوافد إلينا من مضامين تحملها تكنولوجيا الاتصال الحديثة

فمن خلال التلفاز والأطباق اللاقطة يمكن الانتقال من بلد إلى آخر لنرى ما يجري من أحداث أو لنستمع إلى حوار أو برنامج ألعاب وقد نشترك فيه، أو لنشاهد ما يعجبنا أو يجذبنا من أفلام لنتعرف على أنماط حياة جديدة وقيم وعادات مختلفة، وقد نقلدها ونقتدي بها على حساب قيمنا وعاداتنا، ومن خلال الانترنيت يمكننا أن نحصل على المعلومة التي نريد وأن نتجول على العالم ونتسوق ونتفاعل مع من نريد، وفي أي وقت نريد.

بفضل هذه الوسائط أصبح العالم بين يديك وأنت جالس داخل المنزل وبين أفراد الأسرة بعيدا عنك، لقد أدت هذه الوسائط إلى تعزيز عزلة الفرد نسبيا عن محيطه المباشر والضيق لتفتح له أبواب تواصل لاحدود لها مع أرجاء العالم البعيد، لقد أدت بالإنسان بأن يتواجد جسديا في مكان وفكريا وعاطفيا واجتماعيا في مكان آخر.2

والإنسان أينما كان وجوده فهو يتفاعل مع البيئة التي يتواجد بها ومع عناصر الثقافة السائدة داخلها، ويعد المجتمع الجزائري من بين المجتمعات الإنسانية التي فتحت أبوابها وتفاعلت مع القفزة المدهشة في مجال تكنولوجيا الاتصال والإعلام في أغلب الميادين، وتجلى ذلك جليا في حياة الفرد الجزائري الذي استفاد من هذه الوسائط في حياته اليومية والعلمية والتربوية ، وغيرها من المجالات التي استفادت من هذه الوسائط الاتصالية والإعلامية.

تأثير استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة على قيم الشباب

فعملية نقل هذه التكنولوجيا الحديثة وتوظيفها في البيئة المحلية (الجزائر) وأيضا ما يصاحب هذه العملية من مشكلات ثقافية، لأن هذه الأدوات والوسائط ليست آلات صماء أو محايدة.وإنما يترتب على عملية نقلها وزرعها في البيئة المحلية نمط حياتي ونفسي واجتماعي يتأثر بالخصائص الحضارية لهذه الأدوات. وقد يشكل ذلك خطرا على ثقافة وهوية وقيم المجتمع الجزائري وبقية المجتمعات الأخرى (غير المادية).

لقد أكدت الدراسات العلمية السوسيولوجية أن المجتمع الجزائري يعد من بين المجتمعات الإنسانية المحافظة على أصالته سواءا كان ذلك من الناحية الثقافية أوالاجتماعية أوالدينية أو السياسية، ولو أننا تتبعنا تطوره خلال مراحله التاريخية لوجدناه من بين المجتمعات المتمسكة بحضارتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها ولهجاتها وهويتها وأعرافها وقيمها الثقافية والاجتماعية والدينية السائدة داخل السياق الإجتماعي العام ، وهذا رغم ما تعرض له من احتلال وحملات صليبية وغزو من قبل الدول الغربية ، وهذا ما جعله ينفرد بثقافته وهويته الشخصية التي تميزه عن بقية المجتمعات الأخرى ، ولكن رغم التطورات التي شهدها المجتمع الجزائري في السنوات الماضية وتمسكه بالموروث الثقافي وأصالته لم يمنعه بأن يكون من بين المجتمعات المنفتحة على ثقافة الآخر، من خلال فضاءات وقنوات الإعلام التي وفرتها وسائط الاتصال والمعلومات الحديثة ، التي جعلت من العالم قرية كونية محدودة الأبعاد والمعالم ، امتجت فيها الثقافات العالمية من حيث السلوكات والأنماط والعادات والتقاليد واللغات والأديان والفنون والأعراف في أشكالها المختلفة في إطار ما يعرف بالحوار الحضاري بين الشعوب ، والتعارف بين الثقافات .

ولكن رغم ذلك تبقى الثقافة المحلية للمجتمع الجزائري والتي ميزته عن غيره من المجتمعات الإنسانية طوال القرون الماضية هي صمام الأمان من

الانحلال والإندثار والذوبان في ثقافة الأخر، الذي تنبي ثقافته على قيم مثالية وإستهلاكية ومادية، من خلال اعتماده الكبير على تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة لتحقيق معادلته التي توضح كيفية نجاح "والت ديزني" و"الماكدونالدز" في غزو الثقافة العالمية التي وضحها benjamin borber في أن سبب نجاح استعمار والت ديزني للثقافة العالمية يكمن في ظاهرة قديمة قدم الحضارة الإنسانية ، إنها المنافسة بين الشاق والسهل، والبطيء والسريع، وبين المعقد والبسيط فكل أول من هذه الأزواج يرتبط بنتاج ثقافي يدعو للإعجاب والإكبار، أما كل ثاني من هذه الأزواج فيتلاءم مع لهونا وتعبنا وخمولنا، إن "ديزني" وماكدونالد" و mtv تروج لما هو سهل وسريع وبسيط.3

وبما أن الثقافة في المجتمعات العربية والإسلامية على الخصوص، سلم يمثل مستواه الأعلى القيم، والقيمة هي ما يرتفع به الفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين الإسلامي في المجتمعات الإسلامية مثل (الجزائر)، فالإنسان لا يكون مصدرا للقيم وإنما تتجسد من خلاله القيم، ليتتبع ذلك أنه كلما ارتفعت الثقافة إلى مستوى القيم ارتبطت بالضرورة بالدين، ويأتي العقل البشري في مرتبة موازية ويمثل نشاطا منطقيا يتعامل مع المسائل النظرية كالإدراك والفهم والتأويل ويكون هذا النشاط منطقيا بضرورة إذا كان وثيق الصلة بالقيم.4

ويعد المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد الجزائري البيئة الخصبة التي يكتسب منها قيمه الدينية أو الثقافية أو الاجتماعية، وكلما كانت هذه القيم ذات عمق واضح يتم اكتسابها دون وعي وتصبح من موجهات السلوك دون إحساس مشروع به، وإذا حاول الإنسان التمرد أو تجاوز هذه القيم السائدة داخل المجتمع، فإنه سيعرض نفسه للخطر سواء بالنفي أو الاستهجان من قبل أفراد مجتمعه، ولكن قد يجد الإنسان نفسه في ضوء رسائل ووسائط تكنولوجيا

الاتصال والإعلام ملزما عن التخلي عن بعض عادات وتقاليد وأعراف قديمة من أجل التأقلم مع ما جاءت به هذه الثورة التكنولوجية من قيم ومبادئ جديدة بإسم التفتح والعصرنة والحداثة والعولمة والتحضر. ولكن على أي أساس أو معيار يعتبر الإنسان أن هذه المبادئ والقيم الجديدة تتوافق مع هويته وشخصيته وأصالته وقيمه التي منبعها الدين الإسلامي ؟

لقد غيرت تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة البيئة التي يعيش فيها أولادنا عن تلك التي عشنا نحن الأبناء فيها، فإذا كانت هذه الوسائل غيرت من أسلوب حياتنا وانتقالنا ووقت فراغنا وعلاقاتنا مع الأسرة والأصدقاء، فكيف سيكون للأجيال الجديدة التي ستعيش في بيئة من الوسائل والوسائط المعلوماتية الأكثر تطورا بما لا يقاس بحاضرنا، وماذا سيحدث للخصوصيات والهويات المميزة بالصيغة التي نفكر فيها اليوم. 5

ثم إن القنوات الفضائية التي حلت في كل بيت جزائري والتي يلهج منها شبابنا وأطفالنا بما توصله له كل يوم، والكمبيوتر الذي هل علينا والذي حل في جميع المؤسسات الجزائرية وسيحل قريبا في الغالبية العظمى من البيوت الجزائرية، وكذلك شبكة الانترنيت القادمة برغبة وإلحاح والتي أصبح الإقبال عليها كبيرا جدا من قبل شبابنا، لما وفرته هذه الشبكة من معلومات وخدمات متعددة، أما فيروس الهواتف المحمولة فحدث ولا حرج فلم يعد شخص سواء كان شابا أو طفلا أو كهلا أو إمرأة في المجتمع الجزائري لا يملك هاتفا محمولا، فلم يعد مقتصرا على ذوي النفوذ والسلطة والمال، فهذه التكنولوجيا الجديدة ستتيح لمجموع الشباب والأطفال نوافذ كبيرة يطولون عليها على العالم ويقيمون من خلالها علاقات تفاعلية مع المعلومات والمنتجات والأصدقاء من كل أنحاء العالم.

الأستاذ : محمد الفاتح حمدي

ينطوي الخوف من عواقب ثورة المعلومات والاتصال الحديثة على تيار عاطفي خفي وقوي يتمسك بثقافة وقيم ومفاهيم أخذت قاعدتها الاجتماعية والمادية والتربوية تتزعزع وغدا للعيان أنها اليوم مهددة تحت وطأة قوى التكنولوجيا والمعلوماتية ،التي تلح علينا بالانفتاح بالمعرفة والصورة والصوت، وإذ كنا قد تغيرنا عن آبائنا دون ضجة كالحاصلة اليوم، فهل يمكن أن نتوقع غير ذلك بصدد أولادنا؟ إن الاحتمال الأكبر هو أن التغيير سيحصل عاجلا أو أجلا ،وقد دهشنا بالتليفزيون وتخوفنا من آثاره على حياتنا لأول مرة، وتغيرنا رغم النقد والتردد فليس هناك ما يدعونا لاعتقاد غير ذلك بصدد هذه الثورة الاتصالية والإعلامية الحديثة الحاصلة اليوم.

سيعيش أولادنا في بيئة مختلفة تماما، تعج بالحواسيب والشاشات الذهبية والفضية والمعلومات والبث الفضائي المباشر، والشبكات العنكبوتية والهواتف المحمولة والألياف الضوئية والأقمار الصناعية والفيديو الرقمي وغيرها من المعلومات المختلفة، وسيتغيرون وتتغير قيمهم دون شك، وليس في ذلك ما يدعو للقلق، يعترف الجميع بأن تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة هي من أهم العوامل التي يقوم عليها التقدم وثمة علاقة وثيقة بين ازدياد المعرفة وسرعة التغيير في كلا المستويين المادي والروحي القيمي، أولئك الذين يجهلون التاريخ جهلا تاما فقط، يمكن أن يعتقدوا أن القيم التي يحملونها عصية على التغيير، أو أن بإمكانهم قهر التكنولوجيا بهذه القيم، ذلك أن التكنولوجيا ليست مجرد آلات خرساء من المعدن والبلاستيك بل هي قبل كل شيء مجال ثقافي وأخلاقي يمتلك قدرة غير محدودة اليوم على الانتشار.6

إن الفضائيات الوافدة إلينا عبر الأقمار الصناعية المختلفة والتي تلج إلى بيوتنا من دون طلب الإذن منا، بحيث سلبت وتهدد قيم أطفالنا وشبابنا ونحن نتفرج عليها بدون أن نحرك ساكنا أمامها، بدواعي التحضر والانفتاح والتعرف على

ثقافات الآخرين، ومن دون أن نقوم بتوجيه وإرشاد أطفالنا وشبابنا فيما يختارونه من أفلام ومسلسلات وأخبار وأفلام كارتونية تناسب مرحلة نموهم وأيضا مراعاة البيئة التي يعيشون فيها. كما أننا أصبحنا غير مهتمين (كأولياء) بالحوار مع أبنائنا في العديد من القضايا التي أصبحت تشكل طابوهات داخل الأسرة الجزائرية والتي أصبحت هذه من الممنوعات الحديث فيها مع الأبناء، مثل العلاقات الجنسية والزواج والعلاقات الغرامية، والصداقة والتعارف والحب وتبادل المعلومات ،وهذا ما يدفع بالأطفال والشباب خلال مراحل نموهم إلى اللجوء لمعرفة هذه المسائل إلى وسائط الاتصال والإعلام المختلفة ، من أجل المزيد من المعرفة عن هذه القضايا التى تشكل طابوهات داخل الأسرة المسلمة، وذلك من أجل حب الاطلاع والاستزادة في هذا المجال، وخصوصا في مرحلة المراهقة التي يميل فيها الشاب إلى محاولة اكتشاف ومعرفة العديد من القضايا المرتبطة بشخصيته ومراحل نموها وكيفية الظهور وإثبات وجوده داخل الجماعة التي يعيش فيها، وهذا بمجرد أن تمنح له الحرية أو الفرصة في الاطلاع على هذه الأمور من خلال، مواقع الانترنت أو القنوات الفضائية المختلفة، أو من خلال ألعاب الفيديو أو من خلال الهواتف المحمولة ،من أجل إشباع رغباته وحاجاته في هذا المجال، الذي كان يصنف بالنسبة لديه من الممنوعات داخل الأسرة،وهذا في ظل غياب دور الأولياء في تلقين أبنائهم لهذه الأمور التي جاء بها الدين الإسلامي، والتي حث على الحديث فيها ومناقشتهامع الأبناء حتى لا تشكل لهم نقطة مبهمة تدفعهم للبحث عن معلومات عنها في قنوات أخرى ،وقد تكون معلومات خطيرة تعمل على تحطيم العادات والتقاليد والقيم السائدة داخل الأسرة والمجتمع على سواء.

إن القنوات الفضائية وشبكة الانترنت وغيرها من التكنولوجيا الحديثة الوافدة إلينا قد أثرت في منظومتنا القيمية تأثيرا كبيرا، فقد غيرت القيم

الاعتقادية (الدينية) بإحلال عبادة الكمبيوتر أو الآلة الإلكترونية) ما اسماه (روجيه غارودي) عبادة الكمبيوتر بدل (عبادة الله)، وأثرت على القيم التربوية بتغيير وتبديل مناهج التربية القديمة المحافظة إلى مذاهب ومناهج متحررة جدا تناسب عصر العولمة، وجعلت من الذاتية بديلا عن كل قيم الضمير، وصيغت القيم الاجتماعية بتغليب مبدأ التحرر والحرية والانفتاح غير المدروس. 7

وغيرت القيم الفنية والجمالية من الغناء الهادف، والكلمات المترفعة والتمثيل الراقي الذي يعالج القضايا الاجتماعية ويساهم في حل المشكلات الإنسانية بأسلوب أدبي رفيع إلى الغناء والرقص والعري واللقطات الفاضحة والاختلاط. إن البث الفضائي المباشر وشبكة المعلومات الدولية قد عملا على زعزعة القيم النفسية والفكرية والثقافية للقوى المسيطرة في وعي الآخرين، وخصوصا لدى شباب مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وفتح هذه المجتمعات وإسقاط عناصر الممانعة والمقاومة والتحصين وإعادة صياغة قيم وعادات وسلوكات جديدة، تؤسس لهوية ثقافية وحضارية أخرى لهذه المجتمعات مهددة هويتها الحضارية، وتذهب بعض البحوث إلى أن هذه القيم الحضارية الجديدة هي قيم أمريكية كما نشاهدها ونتصفحها من خلال الانترنت في شكل أفلام ومسلسلات وأشرطة.8

ويؤكد " مصطفى أحمد تركي" أن وسائل الإعلام تؤثر في كل جانب من جوانب السلوك السياسي والاجتماعي والصحة والتعليم والمعارف المهنية، وأيضا أصبح لها دور كبير في تكوين الصور الذهنية عند الأفراد عن الدول والمواقف والأحداث، بل يمكن أن نقول أن هذه التكنولوجيات الحديثة في مجال الإعلام والاتصال لها تأثير في الطريقة التي يدرك بها الناس الأمور والطريقة التي يفكرون بها وفي سلوكهم نحو عالمهم الذي يعيشون فيه.

ويذكر " ياس خضير البياتي" أن مضامين الرسالة الإعلامية الغربية عبر قنواتها الفضائية تعتمد على المعارف السيكولوجية للتحكم في الرأي العام، واتجاهاته وتضليله من خلال منهج دعائي يقوم على: 9

1/الاعتماد على الخرافات والآراء الباطلة واستغلال الانفعالات البشرية عن طريق التوجه إلى العواطف وليس العقول.

2/التركيز على الثانوي في الظاهرة وجعلها رئيسية وإهمال المسائل المهمة وجعلها ضعيفة الأهمية.

3/التحكم في الوعي الإنساني عن طريق صرف الجماهير عن المدخل النقلي المنطقي النقدي للحياة حيث تقود الدعاية السلوك الجماهيري بواسطة اللعب على الأوتار الحساسة والانفعالات لتحديد قدرة الجمهور على التفكير المنطقي وجعلها سلبية بعيدة عن التأثير العقلي.وأيضا الاعتماد على أساليب الإيحاء والإثارة في المضمون الإعلامي.

4/خلق التنوع في المادة الدعائية بما يجعل الاستيعاب لها جزءا من البنية الإدراكية ومما يجعل انتقائية المادة مستجيبة لأنماط اهتمامات الفرد.

لقد نجح البث الفضائي المباشر والشبكة المعلوماتية وألعاب الفيديو، في تكوين جيل من الشباب متصدع النفس، منطلق مع الشهوة متحرر من القيد، شباب يعيش ليله ونهاره مشتت الذهن، لا يفكر إلا في غرائزه ولا يطمح لشيء إلا لمجرد إشباع رغباته العارمة ضاربا بكل التقاليد الاجتماعية والمعايير والقيم الأخلاقية والمبادئ الدينية عرض الحائط.10

في ظل هذا البث الفضائي المفتوح من جميع النواحي، وأيضا التنوع في الخدمات التي تقدمها شبكة الانترنت والفيديو والبرامج التليفزيونية المعروضة، أدى ذلك إلى التقليل من شأن القيم الأخلاقية والاجتماعية والثقافية، وأصبح الشباب يعاني الوحدة والعزلة الاجتماعية داخل أسرته، كما تأثرت الأسرة بقيم

التليفزيون والانترنت، وهذا رغم أن أغلبية القيم المروجة في هذه البرامج تتنافى كلية مع قيمنا المستمدة من الدين الإسلامي ، وتتعارض كلية مع عاداتنا وأعرافنا وتقاليدنا ورغم ذلك فإن الكثير من الشباب الذي يشاهد أو يتصفح هذه البرامج الوافدة إلينا، يتشرب هذه القيم الدخيلة تحت شعار تقليد الحضارة الغربية (الملبس، المسكن، المأكل، الاختلاط، العلاقات الغرامية، الزواج، البحث العلمي،...) وهذا التقليد يؤدي إلى صراع بين ما يجهله هؤلاء الشباب من قيم جديدة، وبين قيم الكبار.

إن القيم التي تنشرها القنوات الفضائية أو شبكة الانترنت أو العاب الفيديو تمثل ركاما من الغث والسمين جنبا إلى جنب بدون مغزى أو هوية، إذ تتولى الإعلانات والموسيقى والأغاني الرخيصة والمناظر الداعرة وكل ذلك يتتابع بشكل رخيص ومبتذل حيث يضم السوقي والوضيع والهادئ والعنيف. وهكذا أصبح الشباب يقلد ما يراه ويشاهده من كشف للصدر والظهر من مميزات الفتاة العصرية، وأيضا تكرار فكرة الزوجة التي تخون زوجها والعكس وفضلا عن الإيحاء المستمر بأن الزواج يقتل الحب والرومانسية وقد ثبت للعلماء أن فنون التقبيل والحب والمغازلة والإثارة الجنسية والحرية المفرطة والتدخين واحتساء الخمور والجريمة والعنف والاختلاط والملابس المكشوفة والعلاقات غير الشرعية، والخمول والكسل والهروب من الواقع والإحباط والقنوط وغيرها ،يتعلمها الشباب من خلال القنوات الفضائية والانترنت وألعاب الفيديو والهواتف المحمولة وغيرها من التكنولوجيات الحديثة ،التي تعمل على نشر مثل هذه القيم السلبية وسط الشباب.

ونظرا لما تعرضه القنوات الفضائية من برامج وما تقدمه الانترنت من خدمات متنوعة يطبعها في أغلب الأحيان الترف والتسلية الزائدة والمبالغ فيها وغير الهادفة، وقدرتها على جذب الشباب ، حدث انفصال تدريجي لهؤلاء الشباب عن

الواقع الذي يعيشون فيه، فقد تصور للشباب أن الحياة تجري على أساس النمط أو الأنماط التي يشاهدونها في الأفلام والمسلسلات، وأنها دوما –هادئة وملونة- وهذا في حقيقة الأمر عزل اصطناعي للشباب عن واقع الحياة كلها بكل ما فيها، من (مشكلات وصعاب وكفاح) كما انتشر في ظل هذا الزخم الكبير للقنوات الفضائية العديد من الاتجاهات الاجتماعية المشجعة للإباحية والتحرر من القيم والتقاليد والأعراف، وهذا بدوره زاد من الخلافات الزوجية، كما أن هذه البرامج الوافدة إلينا يوميا مملوءة بالكذب والنفاق ذات تقنية عالية في التأثير على المشاهدين وجذبهم إليها، كما أنها (القنوات الفضائية والانترنت والعاب الفيديو والهواتف المحمولة) تعد منابع للعنف يتعلم منها الشباب، من خلال ما يعرض ويتداول من أفلام ومسلسلات حول العنف والجريمة والتضخيم في طريقة معالجتها وتناولها، مما يؤدي إلى تشويه المعلومات لدى الشباب، وربما يميل بعض منهم إلى ممارسة هذه الجرائم في الحياة الواقعية.11

ومن أخطر ما قد تجلبه هذه الوسائط الإلكترونية الحديثة زعزعة العقيدة في نفوس أنصارها مستخدما كل الوسائل، وأيضا إضعاف عقيدة الولاء والبر والحب والبغض في الله وذلك باستمرار مشاهدة الحياة الغربية وإبراز الغرب داخل بيوتنا والاستمرار في عرض الأفلام والمسلسلات الغربية مما سيخفف ويضعف البغض لأعداء الله. أيضا تقليد الغرب في عقائدهم باكتساب كثير من عاداتهم المحرمة التي تقدح في عقيدة المسلم (الأعياد، الملابس، المأكل، العلاقات، الزواج،...إلخ).12

ولكن بإمكاننا أن نجعل من هذه النقم، نعمة في أيدي شبابنا يغتنمها لخدمة قيمه وآرائه واتجاهاته من خلال ما يلي:

1/التعليم المكثف للأبناء بكيفية استخدام وسائط الاتصال والمعرفة الحديثة وعدم ترك مجال الجهل بأي منها، مع استخدام الأساليب المناسبة للتعريف بفوائدها والحث عليها والتعريف بمضارها وتجنبها.

2/إقامة دورات في محو الأمية في مجالات التكنولوجيا ووسائط الاتصال لجميع الأفراد وخصوصا (الشباب) ليتمكنوا من مواكبة التطورات الحاصلة في مجال تكنولوجيا الاتصال.

3/إنشاء مؤسسات مجتمع مدني ضاغطة (أسرية، نسائية، شبابية،...إلخ) تحاكم أداء الإعلام المحلي والعربي وموزعي الكابل، وتصدر البيانات والمطبوعات والدراسات الدورية وتنظم المؤتمرات والندوات التي تدفع المؤسسات الإعلامية العربية المختلفة لتصحيح أدائها لكي ينسجم مع قيم المجتمع. 13

4/كما يجب تحديد نسبة المواد الأجنبية في وسائلنا الإعلامية، فالمواد الإعلامية الأجنبية هي بنت واقعها، وتعبر عن ثقافته وقيمه، وفي أغلبها مواد ترفيهية لا تحمل أية قيم أو معان إيجابية، ولا يعني ذلك المقاطعة الكاملة لكل ما هو أجنبي بل الواجب اختيار المواد المناسبة التي لا تتعارض مع قيمنا ومبادئنا، وتحمل قيما إيجابية ومعارف وعلوما أو ترفيها بريئا بعيدا عن الإسفاف والإثارة.

5/يجب ألا يزيد زمن عرض مثل هذه البرامج التلفزيونية الأجنبية عن نسبة زمنية معينة من زمن البث اليومي، وهذه ليست بدعة نبتدعها بل هي سياسة قائمة لدى كل الدول التي تحترم ثقافتها وقيمها حتى في الغرب نفسه.

6/أيضا التوعية بمخاطر بعض المواد الإعلامية الأجنبية، الوافدة عن طريق البث الفضائي أو عن طريق الانترنت والفيديو والهواتف المحمولة، والتي أصبح في ظل هذه الوسائط لم يعد بالإمكان التحكم بما يبث وما لا يبث، حيث يأتي ذلك البث من خارج حدود الدول، ولا يبقى من مجال أمامنا سوى التوعية بمخاطر بعض المواد التي تبثها القنوات الأجنبية من خلال التوعية الدينية.14

7/إشاعة ثقافة النقد والحوار لدى الأسرة من اجل القدرة على محاكمة الأمور وتمحيصها ورفض التلقي السهل والتسليم السطحي بالأمور للحد من التأثير الضار لمضامين الرسائل الإعلامية السلبية.

8/تشجيع اختيار جلسات المشاهدة التلفزيونية العائلية والتي تشجع على الحوار وإبداء الرأي والتعليق على ما يعرض.

9/يقول " بيل غيتس" في كتابه " المعلوماتية بعد الانترنت" " إن التقدم التكنولوجي سوف يجبر المجتمع كله على مواجهة مشكلات جديدة شائكة ليس بإمكاننا أن نتنبأ إلا بالقليل منها ذلك أن إيقاع التغير التكنولوجي هو من السرعة بحيث سيبدو في بعض الأحيان أن العالم سيكون مختلفا من يوم إلى آخر، ويكمل: إن علينا أن نتهيأ للتغيير".

10/يبدو أن الثابت الوحيد في حياتنا المستقبلية هو التغير المستمر، وهذا ما جاء في حديث روي عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- يقول:" أغفل الناس من لم يتعظ بتغيير الدنيا من حال إلى حال، وأعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه".15

11/تشجيع إنشاء مؤسسات وشركات كبرى لإنتاج البرامج الثقافية والإعلامية المرئية (السينمائية والتليفزيونية) تكون قادرة على الإنتاج المتميز شكلا ومضمونا والقادر على منافسة المنتوج الأجنبي، مستفيدة من التقنيات الحديثة المتطورة في هذا المجال، وعلى أن تركز نشاطها في تناول قضايا المجتمع الحيوية دون تزييف.

12/التأكيد على دور الأسرة التربوي: بحيث تعد الأسرة هي الحاضنة الأولى لقيم وثقافة الأفراد والمجتمع وعن طريقها تتوارث الأجيال خصائص الأمة وتتشرب قيمها وثقافتها ومعارفها وأسلوب حياتها وأنماط سلوكها، وإذا ما غاب دور الأسرة أو قصرت في أداء مهمتها في تنشئة الأجيال ومدهم بالزاد المناسب الذي يضمن لهم الحصانة الذاتية في أنفسهم وفقا لقيم ومبادئ الأمة، فإن جهات أخرى ستقوم

بأداء هذا الدور على النحو الذي تريده هي دون ضابط أو رقيب، كالقنوات الفضائية، وشبكة الانترنت، إلى جانب رفاق السوء في الشوارع.16 13/التوعية الجنسية السليمة: يقوم الآباء بتوجيه أبنائهم وخاصة المراهقين والشباب بالتمسك بالقيم الدينية المستمدة من المبادئ الإسلامية، كما يوجهونهم إلى عدم مشاهدة الأفلام والبرامج الوافدة عبر البث التلفزيوني أو الانترنت أو الفيديو، التي كثيرا ما يرد فيها من برامج يترتب عليها نوعا من الإثارة الجنسية لدى أبنائهم وذلك من خلال المراقبة والمتابعة وتقديم النصح والإرشاد.

14/التوعية الاستهلاكية السليمة للأبناء: تساهم الأسرة بدور فعال في توجيه أبنائها وتربيتهم على أنماط وعادات استهلاكية تتماشى معه الطبيعة العربية والإسلامية التي تدعو أبناءها إلى ترشيد الاستهلاك وعدم الإسراف أو التبذير بل الاعتدال في الاستهلاك وأن يكونوا لهم قدوة لهم داخل المنزل وخارجه من خلال ما يقبلوا على شرائه من مأكل ومشرب وملبس...إلخ. وبذلك يتعود الأبناء على سلوكيات استهلاكية سليمة.17

15/إعادة النظر في المناهج التعليمية وتحديثها بصورة مستمرة: الأمر المفترض في المناهج التعليمية أن تكون قادرة على منح الطالب خلال مراحل التعليم المتعددة القدر المناسب من المعارف والقيم التي تؤهله لخوض معترك الحياة العملية بعد ذلك والقيام بدوره في الحياة على أكمل وجه، ومواجهة كل جديد من هذه التكنولوجيا دون خوف.

16/الاهتمام باللغة العربية: ليست اللغة مجرد أداة تواصل بين أفراد الأمة ووسيلة لترجمة ما يدور في أذهانهم إلى معان في الواقع المحسوس، لكن أهميتها تتجاوز ذلك إلى كونها حاضنة ثقافة الأمة وقيمها وتراثها وتاريخها بأكمله، وهي عنوان الأمة والجامع لعناصر هويتها.18

المراجع المعتمد عليها

1*) نايف كريم : الأسرة العربية في وجه التحديات و المتغيرات المعاصرة، مؤتمر الأسرة الأول ، بيروت: دار ابن الحزم 2003، ص 155-156.

2*) محمد شطاح: التلفزيون والطفل، مجلة المعيار (قسنطينة جامعة الأمير عبد القادر، عدد 07، ديسمبر 2003 ،ص91.

3*)عزي عبد الرحمن : دراسات في نظرية الاتصال، نحو إعلام إسلامي متميز (بيروت، مركز الدراسات الوحدة المغربية ،2003) ،ص106.

4*)سمير إبراهيم حسن:الثورة المعلوماتية عواقبهاوأفاقها، مجلة جامعة دمشق للأداب والعلوم الإنسانية (دمشق :جامعة الأداب والعلوم الإنسانية ،المجلد 18،العدد2002،1) ص212.

5*)انظر: نايف كريم:مرجع سابق ،ص.ص(157، 159).

6*)سمير إبراهيم حسن : مرجع سابق، ص(217).

7*حيدر حميد الدهوي: العولمة والقيم (دمشق: دار علاء الدين، ط20021)، ص (35).

8*)المرجع نفسه، ص(31)، بتصرف.

9*)محمد جاد أحمد: مرجع سابق، ص (104).

10*)المرجع السابق، ص (105).

11*)المرجع السابق، ص.ص (116، 119) ،بتصرف.

12*)محمد جاد أحمد: المرجع السابق، ص.ص (129-131)، بتصرف.

13*) المرجع السابق، ص.ص (116، 119) ،بتصرف.

14*)محمد جاد أحمد: المرجع سابق، ص.ص (129-131)، بتصرف.

15*)عبد الرشيد عبد الحافظ: الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها (القاهرة: مكتبة مدبولي،2005) ص.ص(91-93).

16*)نايف كريم : مرجع سابق، ص(162).

17*)عبد الرشيد عبد الحافظ : مرجع سابق، ص.ص(96-97).

18*)نايف كريم : مرجع سابق، ص(170).